

القاهرة

أحمد بخيت

خطب طفلٌ صغيرٌ أمام قيصرَ في كاملِ أبّهته هادئا:

يا سيّدي

إن البلاد يخرّبُها الأبطالُ ويبنيها الطيبون،

فأعطنا أبطالاً أقلَّ،

وطيبين أكثر؛

لماذا أقول ما قُلته مرتين يا مولاي،

الطيبون هم الأبطال لأنهم يبنون ،

والطيبون سادة لا عبيد،

لأنهم لا يخافون قيصر، أكثر من خوفهم من الله،

سادة لأنهم يعطون أكثر مما يأخذون،

والأبطال الذين يرون أنفسهم أبطالاً

بصراخهم العالي،

وخناجرهم

وسكاكينهم

هم باطلٌ جسُور.

الطيِّبونَ يا سيِّدي

يُحبّون شال أُمِّهِم أكثر مما تُحبُّ دبابتَكَ،

ويحبِّون ضِحْكةَ طِفلهِم أكثر مما تُحبُّ أوْسِمتَكَ.

ويحبُّونُ الله أَكْثر مما تُحبُّ جنرالَكَ.

ويحبُّون بلادَهم أكثر مما تحبُّ رصيدَك البنكيَّ.

الطَّيِّبون يا سيِّدي ليسُوا هَدفَ تصويبٍ،

ولا فئرانَ تجاربَ،

ولا بُلَهَاءَ أَمَامَ تلفازٍ مُسَمّمٍ بِالأَكَاذيبِ،

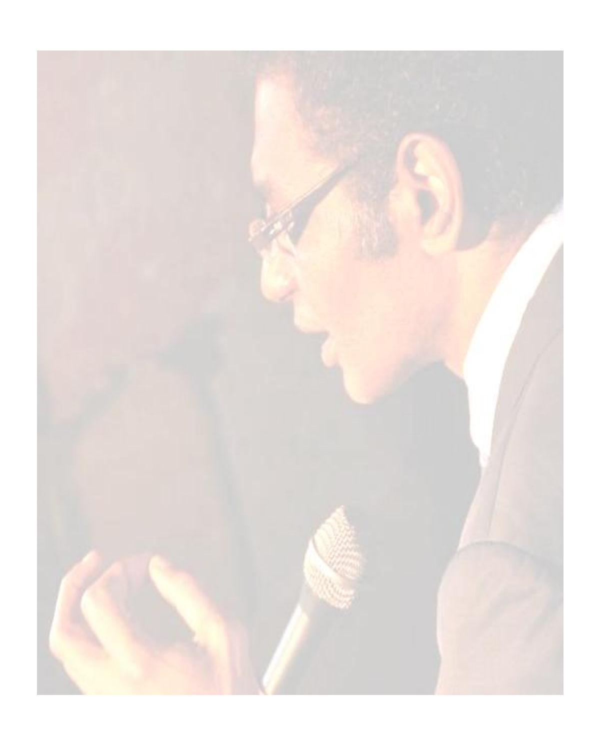
وَالمُحَاربُ إنسانٌ وليس رِدَاءً،

وابتسامةٌ وليْسَ بندقيةً،

وَخُطْوةٌ وليس حِذَاءً،

والطَّيِّبُونَ يا سيدي يَرِثُونَ الأرضَ.

القاهرة 2011



الرسالةالأولى

حتى متى وتقولني وأقولُ

الناس من ماءٍ وأنت النيلُ

سبعون قرنًا في الطريقِ أمامنا

وابنُ السبيلِ أنا وأنتَ سبيلُ

أَمْشِي الخُطَى الأولَى، أَقُولُ لِوالِدٍ

مَا قَالَهُ -في الغَيْبِ- إسْمَاعِيلُ

لو لم يك الأميُّ أولَ قارئٍ

فبأيِّ وحيٍ يبدأُ التنزيلُ؟

وكَمثقلٍ بالذكرِ أصرخُ واجدا:

مَن لم يصلِّ على الحبيبِ بخيلُ

لِلَّيْلِ ناشِئَةٌ أَشَدُّ، وَلَمْ أَكُنْ

حَجَرًا ، وَإيقاعُ الظَّلامِ ثَقِيلُ

سَهَّدْتُ حَتَّى الفَجْرِ،عَشْرَ أَنَامِلٍ

هِيَ وَاللَّيالي: شَمْعَةٌ وَفَتِيلُ

لَمْ تَنْكَسِفْ لِلشَّمْسِ بازِغَةً، وَلا

افْتَقَرَتْ لِضَوْءِالشَّمْسِ وَهْيَ أفُوْلُ

إنِّي كَلامُ البَحْرِ في أَمْواجِهِ

صَوْتُ السَّنَابِلِ رَتَّلَتْهُ حُقُوْلُ

رَطْبٌ جَنِيٌّ مِنْ نَخيلِ صَعيدِنَا

مِنْ يَوْمِ سَبَّحَ في الصَّعيدِ نَخِيلُ

زغرودة الفُقَراءِ لَيْلَةَ عُرْسِهِمْ

والآه والمَوّالُ وَالأَرغوْلُ

أَنَا شَالُ أُمِّي أَوْ عَمَامَةُ والِدِي

وَحِصَانُ طِفْلي، وَالحِصَانُ أَصِيلُ

من أنتِ في هذا الرقيم وَمَنْ أَنَا ؟

أَأَنَا التَّسَاؤُلُ أَمْ أَنَا المَسْؤوْلُ ؟

أَنا مِنْ بِلادٍ لا تَنامُ، وَلَمْ تَلِدْ،

وَلَداً يَنَامُ، فَعِشْقُنا مَوْصُوْلُ

ذَهَبُ اللَّيالي الفاطِمِيَّةِ لَيْسَ لي

أَيْنَ المُعِزُّ وَسَيْفُهُ المَسْلُوْلُ ؟

هذي البِلادُ اسْتَقْرَضَتْ سُكَّانَهَا

أَحْلامَهُم ،وَحَلا لَهَا التَّأْجِيلُ

قَدْ أَلْتَقِي بِالجِنِّ في "حَاراتِهَا"

سَهْواً، كِلانَا دائِنٌ مَمْطُوْلُ

تَمْشي أَمَامِي آيَةُ الكُرْسِي

أَقْرَئوها السَّلامَ وَفي دَمي تَنْمِيلُ

سيري مَعي لِلنَّهْرِ نَغْسِلُ قَلْبَنَا

نِصْفُ الحَضارَةِ قَسْوَةٌ، وَوُحُوْلُ

قَبْلَ اخْتِراعِ الكَهْرَبَاء بِضِحْكَةٍ

في الكُوخِ سَاعَةَ يُطْفِئُ القِنْدِيلُ

"طبليةٌ" فوقَ "الحصيرةِ""قُلَّةٌ"

و"مَشَّنةٌ" والخدُّ بعدُ أسيلُ

صوتُ الإذاعةِ والحبيبةُ تشتكي

ظلمَ العذولِ وما هناك ثَمَّ عذولُ

لا تنسَ مريولَ المدارسِ طفلتي

كبرتْ بعامٍ واهترا المريولُ

وحذاءُ طفلك هل تُرى أصلحته؟

كي لا يُعيِّرَ أصبعَيه رذيلُ

حلْوى النُّعَاسِ بحُلم ِطِفْلٍ بَاسِمٍ

فَوْقَ الوِسَادَةِ صَفَّهَا جِبْرِيلُ

نامي بحفظِ اللهِ ربُّك عالمُ

الأحوالِ بعدَ الضيقةِ التسهيلُ

يَخْتارُ رُكنًا في القَصِيدةِ هادِئًا

مِنْ ألفِ عامٍ شاعِرٌ مَجْهُوْلُ

يَمْشِي إلى مُسْتَقْبَلٍ مُتمَهِّلٍ

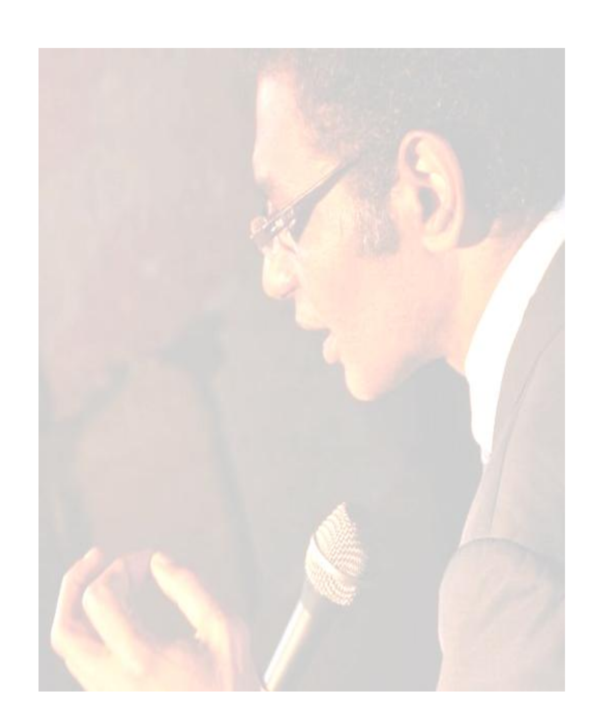
في حارَتَيْنِ عَتيقَتَيْنِ يَجُوْلُ

عَطَشُ الخَيَالِ الواقِعِيِّ صَديقُهُ

وَالشَّايُ في أكْوابِهِ مَذْهُوْلُ

كانت لنا بلدٌ كبرنا لم نجدْ

بلدا لنا، سرقَ البلادَ الغولُ



الرسالة الثانية

تَأْتي كَمَا تَأْتِي القَصِيدَةُ دائِماً

قَدٌّ يَميسُ، وَفاحِمٌ مَسْدولُ

وَأَنا كَـدَرْوِيشِ الحِكايَةِ كُلَّمَا

قَصُرَ الزَّمَانُ يَلِذُّ لِيْ التَّطْوِيلُ

قالَتْ: أُحِبُّكَ، فَالتَفَتُّ: تَمَهَّلِيْ

إنَّ الحَديثَ مَعَ الجَمَالِ يَطُوْلُ

قالَتْ: أَتُطْفِئُنِي الدُّمُوعُ؟ أَجَبْتُهَا:

تَلِدُ الشُّمُوعُ الضَّوْءَ وَهْيَ تَسِيلُ

عَيْنَاكِ تَدْمَعُ، أَمْ تُصَلِّي؟ هكَذا

في دَمْعِ مَرْيَمَ يُقْرأُ الإنْجِيلُ

عَيْنَاكِ عاصِمَتَانِ، عاصِفَتَانِ بِيْ

في الحَالَتَيْنِ، مَتَاهَةٌ، وَدلِيلُ

لا خَوْفَ مِنْ بُعْدِ المَسافَةِ بيننا

نَحْنُ المَسَافَةُ عَرْضُهَا وَالطُّوْلُ

بَيْنِي وَبَيْنَكِ فِي الكِتَابِ مَوَدَّةٌ

هِيَ آيَةٌ، لا حَالَةٌ،وتَحُوْلُ

نَنْأى وِداداً، ثُمَّ نَدْنو رَحْمَةً

كُلُّ المَسافَةِ بَيْنَنَا تَرْتِيلُ

أَنْتِ الأَكِيدَةُ، حِينَ شَكِّي كُلُّهُ

كُلُّ الشُّكوكِ لِقاؤُنَا وَتَزُوْلُ

هذا الغِيَابُ أقَلُّ مِنْ شَوْقَيْهِمَا

وَأَقَلُّ مِنْ رُؤياهُمَا التَّأوِيلُ

يابنت أهلى الطيبين ترشَّفي

من نبعِنا، ظمأُ السنينِ يزولُ

"حَيُّ الحُسَيْنِ" قَصيدَةٌ مَوْزونَةٌ

وَزْنَ "الخَليلِ"، بَيانُهَا مَصْقُوْلُ

حيْثُ القبَابُ سَحَابُنَا يَسْقِي السَّمَا

عَطَشَ الدُّعَاءِ، وَلِلدُّمُوعِ مَسِيلُ

تبْتَلُّ "سَائِحَةٌ" بِرائِحَةِ النَّدَى

ويُميلُ أغْصَانَ الخَيَالِ مُمِيلُ

وَالمُطْرِبُ الجَوَّالُ حَرَّرَ ضِحْكَةً

لِلْجَالِسينَ، وَدَمْعُهُ مَغْلُوْلُ

سَتَمُرُّ حَامِلَةُ البَخورِ وَخُبْزُهَا

والمِلْحُ -تَحْتَ كَلامِهَا- مَعْسُوْلُ

جَارِي الحَكِيمُ يَهُزُّ كِتْفِي سَاخِراً:

فِيمَ تُفَكِّرُ أَيُّهَا المَسْؤوْلُ؟

هُوَ مُلْكُ رَبِّكَ لَمْ يَدَعْ تَدْبِيرَهُ،

لِلْخَلْقِ، فَكِّرْ هَلْ لَدَيْكَ حُلُوْلُ؟

عِنْدِي بَناتٌ أَرْبَعٌ يا صَاحِبِي

وَوَظيفَتَانِ وَراتِبٌ مَهْزُوْلُ

لا يَحْمِلونَ الخُبْزَ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ

رِزْقُ الطُّيُورِ إلى السَّمَا مَوْكُوْلُ

كُنَّا عَلَى المَقْهَى، وَوَقْتٌ خَامِلٌ،

وَمَقَاعِدُ المَقْهَى تَكادُ تَقِيْلُ

مَرَّتْ فَتَاةٌ مَا تُجَاذِبُ جَرْوَهَا

طَرَفَ الحَدِيثِ وَشَعْرُهَا مَجْدُولُ

وَفَتًى يُسَارِقُ نَظْرَتَيْنِ، بحسرةٍ

كم آملٍ وَيَفوتُهُ التَّأْمِيل

فِي كُلِّ بِنْتٍ فِي الحِكَايَةِ دائِماً

وَلَدٌ يُغَنِّي قَلْبُهُ مَنْخُولُ

يَحْكِي مَعِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ شَاطِحًا

وَأَنَا بِغَيْمَةِ شَطْحِهِ مَشْمُوْلُ

نتقاسمُ "الأحزانَ" نضحكُ لم يَعُدْ

حسدٌ ينغِّصُنا ولا تعذيل

وَحَديثُهُ الشِّعْرُ الحَديثُ،مُلَوَّنٌ

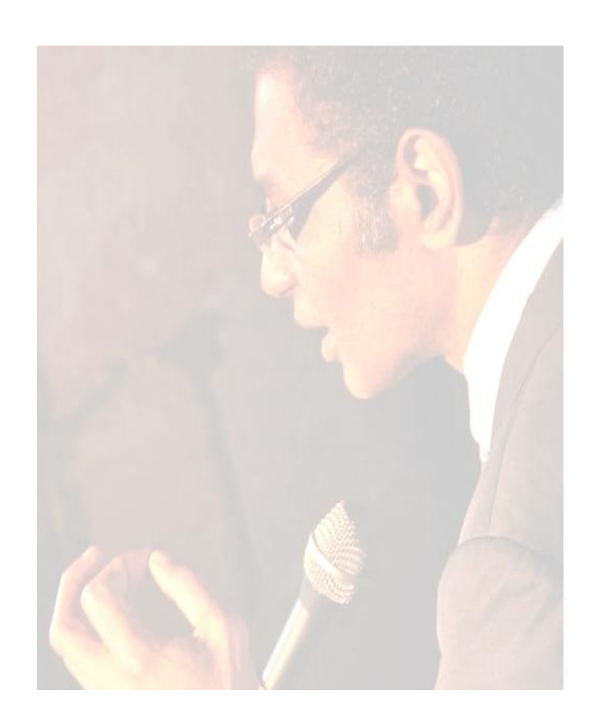
بِالثَّرْثَراتِ، وَغامِضٌ وَجَمِيلُ

قَدْ لا تَرَى سَعَةَ السُّهُولِ كَمَا أَرَى

لَوْ لَمْ يَكُنْ بِكَ لِلسَّمَاحِ سُهُوْلُ

وَلَقَدْ تَرَى أَنَّ الجِبَالَ وَحِيدَةٌ

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي الزِّحَامِ خَلِيلُ



الرسالة الثالثة

تُلْقِي الحَيَاةُ عَلَى الحَيَاةِ سُؤَالَهَا

ويدورُ ذاتَ الدورةِ البندولُ

مُنْذُ انْتَهى سَاعِي البَرِيدِ، وَلَمْ يَعُدْ

بَيْنَ الحبيبَةِ وَالحبيبِ رَسُوْلُ

وَتَنَهَّدَ الشَّوْقُ البَعيدُ رَسَائِلاً

مَحْمُولَةً، وَتَوَرَّدَ "المَحْمُوْلُ"

حَفِظَتْ رَسَائِلَها إِلَيْهِ بِقَلْبِهَا

كَيْ لا يَمَسَّ الوَرْدَتَيْنِ ذُبُوْلُ

وَتَخَيَّلَتْ أَنَّ الرَّسَائِلَ سَافَرَتْ

عَبْرَ الخَيَالِ، وَهَزَّهَا التَّخْيِيلُ

وَصَلَتْ رَسالتُها، وَأَلْفُ رِسَالَةٍ

لَمْ يَلْتَقِطْهَا الهَاتِفُ المَقْفُوْلُ

"سافَرْتَ قَبْلِي أَلْفَ مِيلٍ أَبْقِ لي

مِيلاً فَأَغْلَى العُمْرِ هذا المِيلُ"

إنِّي أُصَدِّقُ مَنْ تُصَدِّقُ قَلْبَهَا

قَلْبُ الجَمِيلةِ خُبْزُهُ التَّدْلِيلُ

أَيُخِيفُهَا أَنَّ النِّسَاءَ جَميلَةٌ

أَنَّ الرِّوايَةَ والحَياةَ فُصُوْلُ ؟

أنَّ الأَمَاكِنَ أُمْنِيَاتٌ دائِماً

مُتَمَهِّلاتٌ، وَالزَّمَانُ عَجُوْلُ ؟

عِشْنَا وَأَغْلَقْنَا سُجُونَ عُقولِنَا

كَيْ لا يَعِيشَ جُنونُنَا المَعْقُوْلُ

هل كانَ هذا العَقْلُ يَكْفِي وَحْدَهُ

كَيْ لا نَجِنَّ، وَهَلْ هُنَاكَ عُقُوْلُ ؟

إن كان يَعْجِزُ عَنْ كَفالَةِ روحِنَا

فَهَلِ الجُنونُ الفَوْضَوِيُّ كَفِيلُ؟

"كَالعِيسِ في البَيْداءِ يَقْتُلها الظَّمَا

وَالمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُوْلُ"

المَاءُ ـــوَهْوَ المَاءُ رِيٌّ غَليلِنَا

إنْ لَمْ يَكُنْ بِيَدٍ تُحِبُّ ـــغَلِيلُ

مِنْ مُخْمَلٍ فِي الأُمْنِيَاتِ، لِشَوْكَةٍ

فِي الذكْرَيَاتِ، زيارةٌ ورحيلُ

ولأنَّ مَن يَنسى سيُنسى كان لي

قلمي وهذا الحرفُ والتشكيلُ

هل تَذْكُرُ المَقْهَى،الشِّتَا مُتَحَدِّثٌ

لَبِقُ الشِّفَاهِ ،وَهُدْبُهُ مَسْبُوْلُ؟

فِي سَاحَةِ "السُّلْطَانِ" قُرْبَ مِسَلَّةٍ
مِصْرِيَّةٍ ،فُتِنَتْ بِهَا "اسْطَنبُوْلُ"

هَشَّتْ لَكَ القُرْبَى ،وَكِدْتَ تَضُمُّهَا
شَوْقاً،وَصَوْتُكَ شَاحِبٌ وَنَحِيلُ

جَوَّعْتَنَا ،خُذْنَا لِبائِعِ كَسْتَنَا
دِفْءِ الطُّفُولَةِ وَالشِّتَاءُ بَلِيلُ

وَاضْحَكْ قَليلاً "شايُنَا" مُتَبَسِّمٌ
وَالنَّادِلُ الثَّرْثارُ- بَعْدُ- سَؤُوْلُ

مِنْ فَرْطِ ما بَخِلَتْ عَلَيْنَا رُبَّمَا
قَدْ تَسْتَحِي الدُّنْيَا غَداً وَتُنِيلُ

مَا زِلْتُ أَهْمِسُ لِلْفَراشَةِ حَلِّقِي
حَوْلِي، بِحُبٍّ،فالجمالُ قبولُ

لم يقتلِ العشاقَ إلا قولُهُم

لليائسينَ مِن المحبةِ: قولوا

لا تَتْرُكِي بَابَ الرِّوايَةِ مُشْرَعاً

للرَّاوِيَاتِ فَكُلُّهُنَّ شكُوْلُ

قَصّرنَ عمرَ الحبِّ حين أطلنَ مِن

حبلِ الشكوكِ وحَبْلُهُنَّ قَتُوْلُ

شَهَّرْنَ بِامْرَأَةِ العَزيزِ وَهُنَّ مَنْ

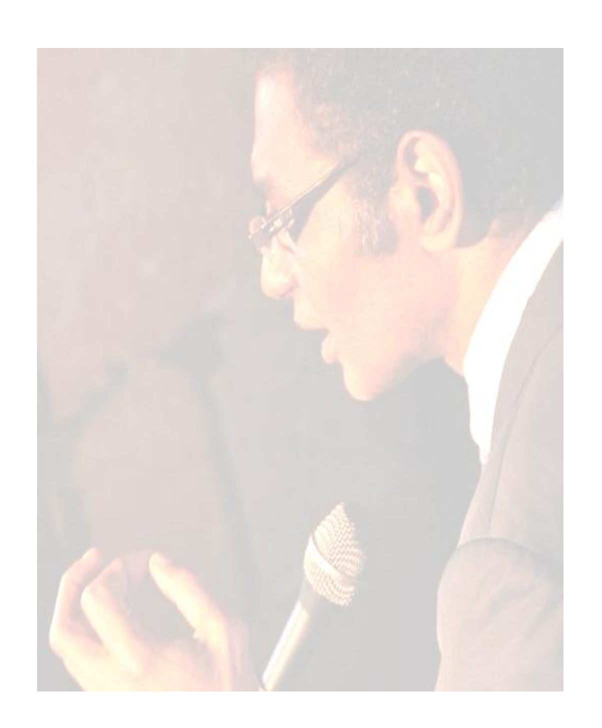
قَطَّعْنَ أَيْديهِنَّ هُنَّ خُبُوْلُ

وَكَأَنَّ أَبْوابَ السَّعَادَةِ كُلِّهَا

لِلْأُخْرَياتِ وَمَا لَهُنَّ دُخُوْلُ

الدَّمْعُ أَكْرَمُ مَرَّتَيْنِ مِنَ الذي

يُهْدِي الدُّمُوعَ كَأَنَّهَا مِنْدِيلُ



الرسالة الرابعة

أيان سرتِ وأين سرتِ سنلتقي

شَوْقُ الجَمالِ إلى الجَمالِ وُصولُ

يا كَعْبَكِ العَالِي،وَدَنْدَنَةَ الخُطَى

وَاللَّيْلُ ،وَالنَّغَمُ الشَّجِيُّ عَلِيلُ

هذِي حرُوفُكِ كَافُهَا كَسْلَى وَحَرْفُ

السِّينِ وَسْوَسَةُ الحَنِينِ كَسُوْلُ

وَالرَّاءُ، سُكَّرَةٌ عَلَى فَمِ طِفْلَةٍ

تَهْواهُ حَلْوى الشَّامِ وَالمَعْمُوْلُ

طَيْشٌ أَنِيقٌ، وَارْتِباكٌ نَاعِمٌ

وَالحَرْفُ سَاهٍ،شَارِدٌ،وَخَجُوْلُ

يا حَرْفَهَا المَشْكُولُ كَمْ وَلّادَةٍ

فيهَا، وَكَمْ خَنْسَاءَ يَا مَشْكُوْلُ

لا تَسْمَعِي صَدَأَ الحَدِيدِ إذا ادّعَى

أنَّ الكِتَابَةَ شَارِبٌ مَفْتُوْلُ؟

سِيِرِي بِلا خَوْفٍ حُرُوفُكِ حُرَّةٌ

كَالحُبِّ توجِزُ تَارَةً وَتُطِيلُ

عَفْوِيَّةً كَالنَّهْرِ أَوْ مَجْنُونَةً

كَالبَحْرِ،ظِلُّكِ فِي الهَجِيرِ ظَلِيلُ

لا تَسْمَعِي كَسَلَ الشِّفَاهِ إذا ادَّعَتْ

تَاءُ الأنُوثَةِ أَنَّهَا التَّقْبِيلُ

فَهَلِ الكِتَابةُ أَحْمَرُ الشَّفَتَيْنِ أَمْ

أَنَّ الكِتَابَةَ هُدْبُكِ المكْحُوْلُ؟

أَمْ فَزَّةٌ فَوْقَ التُّرابِ،وَقَفْزَةٌ

نَحْوَ السَّحَابِ،وَغَمْزَةٌ وَهُطُوْلُ

إسْوارَةُ المَحْبُوبِ، دُمْيَةُ طِفْلَةٍ
عُكَّازُ شَيْخٍ، وَرْدَةٌ،وَصَهِيلُ

قَمَرٌ عَلى الشُّبَّاكِ سُبْحَةُ ذاكِرٍ
سجَّادَةٌ وَتبَتُّلٌ وَبتُوْلُ

جَرُّ الدِّمَقْسِ عَلَى الرُّخَامِ وَسَكْبَتَا
مِسْكٍ وَكَأْسُ المُلْهَمِينَ شَمُوْلُ

طِيرِي عَلَى ثِقَةِ اليَمَامَةِ بِالسَّمَا
عُمْرُ الجَنَاحِ: يَمَامَةٌ وَهَدِيلُ

هَلْ أَوْجَعَتْكَ الأَرْضُ؟ بَلْسَمُها السَّما،
فإذا تعثرنا الجناح مَقيلُ

لا أَدَّعِي مِلْكِيَّةَ المَعْنَى، يَدِي
سُحُبٌ تُفَكِّرُ وَالبِلادُ مُحُوْلُ

وأنا الهُدُوءُ المُطْمَئِنُّ الخَائِفُ

المُسْتَأْنِسُ المُتَأَمِّلُ، الموصولُ

أصغي إلى الدرويشِ:لا تَعجَلْ وكُنْ

جملَ المحاملِ فالحياةُ حمولُ

أتذكرُ الولدَ الذي أنا كنتُهُ

وَالشِّعْرُ طِفْلٌ، وَالحُرُوفُ طُفُوْلُ

فِي الصُّبْحِ، تِلْمِيذٌ نَحِيلٌ، شَاحِبٌ

غَضُّ الحُروفِ، وَمُتْعَبٌ وَمَلوْلُ

في الصَّفِّ، أَجْلِسُ خَائِفاً أَنَا خَائِفٌ

جَفْنِي انْتِبَاهٌ، مُقْلَتَايَ ذُهُوْلُ

أَنْسَى الجَوابَ وَإِصْبَعِي مَرْفُوعَةٌ

وَالوَقْتُ سَيْفٌ خَصْمُهُ مَقْتُوْلُ

عُذْراً مُعَلِّمَتِي السُّؤالُ عَلَى فَمِي

وَفَمِي صَغِيرٌ وَالجَوابُ مَهُوْلُ

فَهَلِ الكِتَابَةُ مِحْنَةٌ لا تَنْتَهِي

ريقِي يَجِفُّ وسَاعِدِي مَخْمُوْلُ

ضَحِكَتْ مُعَلِّمَتِي: الكِتَابَة نِعْمَةٌ

مِنْ نَفْخَةٍ فِي الرُّوحِ: قُلْ فَيَقُوْلُ

ثق بالقصيدة فَالمُغَنِّي دائِماً

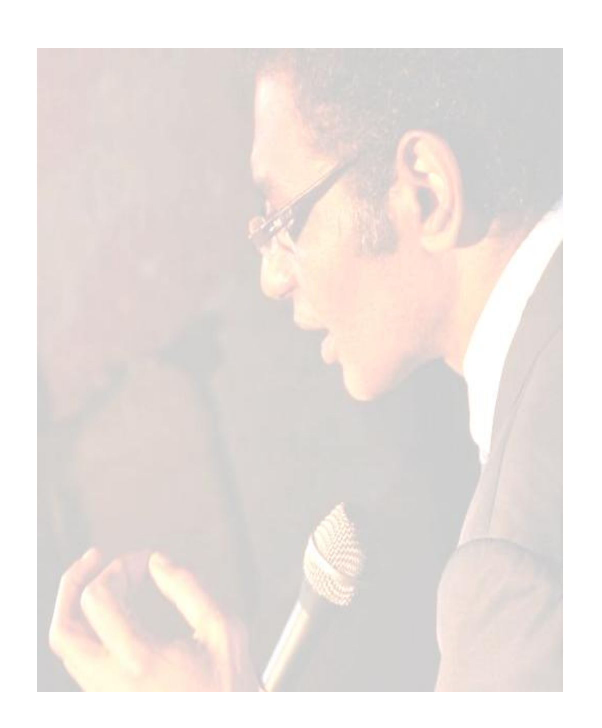
صَوْتٌ جَديدٌ وَالغِنَاءُ أصيلُ

أُسْطورَةُ الرَّاوِي التي لاتنتهي

أن ينتهي ويظل بعدُ فضولُ

فاذهبْ إلى الكلماتِ قلبًا أعزلًا

كي لا يكونَ لما تقولُ بديلُ



الرسالةالخامسَة

كُنَّا عَلَى المَقْهَى، سَأَلْتُ فقَالَ لِي:

إنَّ الكِتَابَ المَدْرَسِيَّ جَفولُ

مِنْ هؤلاءِ لِهؤلاءِ رِوَايَتِي

فَاقْرَأ مَعِي، وَغَداً سَيَقْرَأْ جِيلُ

أَنَا "يحي حقي" عُدْتُ مِنْ سَفَرٍ إلى

سَفَرٍ ،فأي الغُربتين ختولُ ؟

حَلَّلْتُ مُعْضِلَتِي التي رَكَّبْتُهَا

مَا دَلَّنِي التَّرْكِيبُ وَالتَّحْلِيلُ

لا القَلْبُ بَصَّرَنِي وَلا عَيْنِي تَرَى

لِأَرَى، فَأَيُّ النَّاظِرِينَ كَلِيلُ ؟

يَا أُمَّ هَاشِمَ عُدْتُ،لا قِنْدِيلَ لِي

أَيْنَ الحَقِيقَةُ،وَالظَّلامُ شُمُوْلُ؟

وَأَنَا وَعَمِّ "نَجِيبْ" لَمْ نَذْهَبْ إلى

اسْتُكْهُولْمَ هَلْ سنةٌ هِيَ التَّفْضِيلُ؟

خَذَلَتْكَ في المَطَرِ المِظَلَّةُ والعصا

ياسيدي إنَّ الصديقَ خَذولُ

ماءُ السَّماءِ يَدُ المَلاكِ نَقِيَّةً

أما الترابُ فعابرٌ موحولْ

في الشرقِ لا يصل البريدُ لأهلِه

و"البوسطجيُّ" مُراقبٌ مكبولُ

مَرَّ الزَّمَانُ وَما تَزالُ صَبِيَّةً

أُمُّ العِيَالِ لَهَا الزَّمَانُ عَدِيلُ

أُمُّ الفَتَى الرّحّال يطلقُ نكتةً

لا عاذلٌ أحدًا ولا مَعذولُ

طَلْقًا أَشَدّ مِنَ الفَواجِعِ لَوْ عَوَى

ذِئْبُ المَواجِعِ،"شِدَّةٌ وَتَزُوْلُ"

فِي الأمِّ بِنْتٌ مَا تُذاكِرُ دَرْسَهَا

في "الثَّانَوِيَّةِ" بَالُهَا مَشْغُوْلُ

حَفِظَتْ " أَغَانِي العَنْدَلِيبِ

وَكُلَّمَا بَرَقَ الحَنِينُ تَحَفَّظَ التَّسْبِيلُ

وَ"بَليغُ" في المَنْفَى، بَليغُ قَصِيدَةٌ

لا البَحْرُ كَبَّلَهَا وَلا التَّفْعِيلُ

دو ري مي فا صُو لا سي بَلِيغُ مُحَلِّقاً

وَالسَّاكْسِفونُ العَذْبُ يَعْزِفُ صُولُو

قد ترحلُ الأوطانُ إلا أنَّها

في الأمهاتِ الطيباتِ حُلول

أُمُّ الصَّبايَا النَّاهِداتِ وكُحْلُهَا

عُرْسُ البَنَاتِ وهدبهنَ كحيلُ

كَمْ مَشَّطَتْ فِي اللَّيْلِ حُلْمَ بَناتِهَا

فَالحُلْمُ فِي خُصْلاتِهِنَّ جَدِيلُ

لا كِلْمَةٌ غَابَتْ وَلا مُتَكَلِّمٌ

تِلْكَ الشَّهَادَةُ: قَائِلٌ وَمَقُوْلُ

مَكْرُ الأُمُومَةِ حِينَ تَغْمِزُ بِنْتُهَا

"قَلْبُ الجَمِيلَةِ مُغْرَمٌ مَتْبُوْلُ"

شَيْخٌ تُؤَرِّقُهُ ابْتِسَامَةُ حاكِمٍ

نَهِمٍ،وَبَطْنٌ جَائِعٌ وَحَمُوْلُ

هَمْسُ الصَّيَارِفَةِ، اسْتِعَارَةُ نَائِبٍ

فِي البَرْلَمَانِ، لسانُهُ مخلولُ

صَلْفُ الغزاةِ يلمِّعونَ سيوفَهم

بِدَمِ الشعوبِ وللسيوفِ صليلُ

شَمْسُ الأَصِيلِ وَأُمُّ كُلْثُومٍ مَعاً

سِحْرَانِ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهْيَ أَصِيلُ

سَفَحَتْ نَبِيذَ الحُلْمِ فِي أَسْمَاعِنَا

لَيْلاً، فَشَرْقُ المُسْتَهَامِ ثَمِيلُ

لِلصَّوْتِ سِحْرُ الصَّوْتِ إنْ أَغْرَى بِهِ

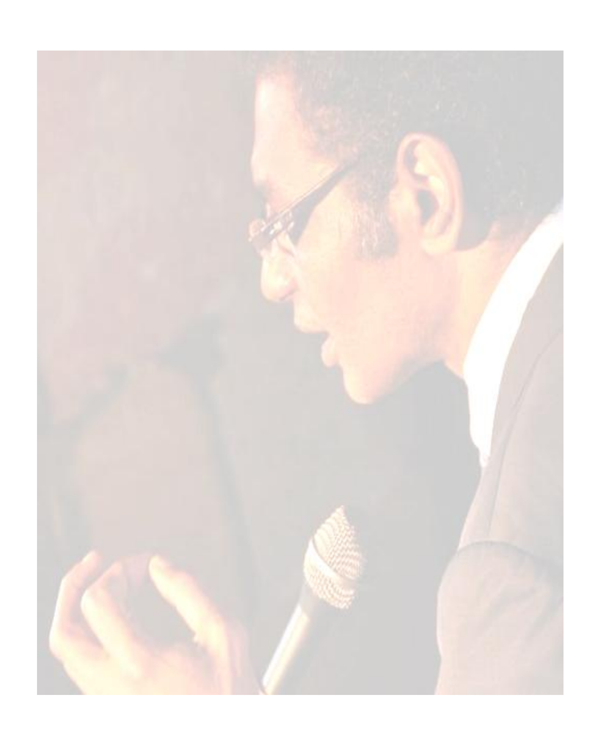
عبْدُ الوَهَابِ وَصَفَّقَ الجَنْدُوْلُ

تمضي الحياةُ وكلُّ شيءٍ حاضرٌ

حدَّ الغيابِ وناقصٌ وكميلُ

عمرُ التفاصيلِ الصغيرةِ عمرُنا

والقصُّ لاحشوٌ ولا تعطيلُ



الرسالة السادسة

فِي الصُّبْحِ مَزَّقْتُ الجَرِيدَةَ كَفَّ عَنْ

سَحْلِي الرَّقِيبُ،وفَاتَهُ التَّذْيِيلُ

سَأُرَتِّبُ الأَخْبَارَ، مِثْلَ فُكاهَةٍ

سَوْداءَ، تَضْحَكُ، وَالدُّمُوعُ سُيُوْلُ

القُدْسُ عِيدُ الأَرْضِ ،أُكْمِلُ باكِياً

بَيْنَ العَدُوِّ، وَبَيْنَنَا إكْلِيلُ

كانَتْ تُتَابِعُ بِاهْتِمَامٍ لَمْ أَقُلْ:

هذا الحِوارُ مُكَرَّرٌ مَمْلُوْلُ

تَبًّا لِمُخْرِجِكِ المُفَضَّلِ كُلَّمَا

خَانَ المُشاهِدَ ،خَانَهُ التَّهْوِيلُ

قَالَتْ: وَمَا جَدْوَى السِّيَاسَةِ؟ إنَّهَا

أُخْتُ المُسَلْسَلِ، قُبْحُهَا التَّجْمِيلُ

يَا طِفْلَتِي: هَلْ تَسْتَطِيعُ بَعُوضَةٌ

جَعْلَ الجِدارِ المُطْمَئِنِّ يَمِيلُ

لا يَا أَبِي لا تَسْتَطِيعُ، مَنِ الّذي

كَشَفَ البُيُوتَ، وَبَيْتُنَا مَأهُوْلُ؟

يا طِفْلَتِي لَوْ أَنَّ فِيلاً غَافِلاً

فِي بَيْتِهِ وَطَعَامُهُ مَكْفُوْلُ

قَدْ تَسْتَطِيعُ بَعُوضَةٌ إيذاءَهُ

وَلَرُبَّمَا هَدَمَ الجِدارَ الفِيلُ

ضَحِكَتْ،فَأَنْسَنَتِ المَكانَ، تَساءَلَتْ

وَمَنِ البَعُوضَةُ؟ قُلْتُ: إسْرائِيلُ

ماذا بِبَالِ" جِبَالِ نابُلُسَ" مَا الّذِي

سيقولُ عَنَّا "كَرْمِلٌ" وَ"جَلِيلُ"

هَلْ تَقْرَأُ التَّوْراةَ ثُمَّ تَقُولُ لي:

تَبْكِي عَلَى أَوْلادِهَا "راحِيلُ"

أنا مُذ تصدَّعَ سدُّ مأربَ راحلٌ

في الراحلينَ ، وَمُنْتَهَايَ قُفُوْلُ

لابد مِنْ صَنْعَاءَ" كَمْ شَطَحَتْ

بِنَا عَثَراتُنَا، وَنُقِيلُهَا ،وتُقِيلُ

مِنْ يَوْمِ أَنْ وُلِدَ العِرَاقُ وَلَمْ يَكُنْ

كُفوًّا لِحُزْنِ ابْنِ العِراقِ عويلُ

حُزْنُ العِراقِيّينَ لَوْ قَسَّمْتَهُ

في العَالَمِينَ يَؤُودُهُمْ وَيَهُوْلُ

وَالشَّامُ تُوشِكُ أَنْ تَقُولَ لِرَبِّهَا

أَهْيَ القِيامَةُ أَيْنَ إِسْرافِيلُ؟

يَمْضِي "أَبو زَيْدِ الهِلالِيَ" فارسا

فردا أمام الموتِ وهْوَ قبيلُ

والقهرُ عائلةُ الجرائمِ كلِّها،

يا بوعزيزي كلنا مخذول

لِيبيَا تُطِلُّ مِنَ الدُّمُوعِ كَأَنَّهَا

مَنْسِيَّةٌ في الحَفْلِ، وَهْوَ حَفِيلُ

هل تَذْكُرِ الأَهْدابُ فِتْنَةَ كُحْلِهَا

بَعْدَ التَّكَحُّلِ، ثُمَّ يُنْسَى المِيلُ؟

هَلْ يُصْلِحُ البَتْرُولُ مَا قَدْ أَفْسَدَ ال

سِّمْسَارُ،وَالدُّولارُ وَ"البَرْمِيلُ"؟

أَتَرَى أَرَى وَطَناً يَرَى حُكَّامُهُ

أَنَّ الغِنَى الإنْسَانُ، لا البتْرُوْلُ

وَطَناً يُصَدِّقُ أَنَّ خُطْوَةَ رُوحِهِ

تَمْشِي، وَأَنَّ رَصِيفَهُ مَشْلُوْلُ؟

يَتَأَلَّهُ الحُكَّامُ فِينَا مُنْذُ أَنْ

نَسَخُوا أَثِينَا فَاقْبَلوا أَوْ زولوا

هيرا وزيوس خولوا الدنيا لهم

ولنسلِهِم من بعدهم تخويلُ

ثُمَّ الوِراثَةُ لِلْبَنينِ وَنَحْنُ لا

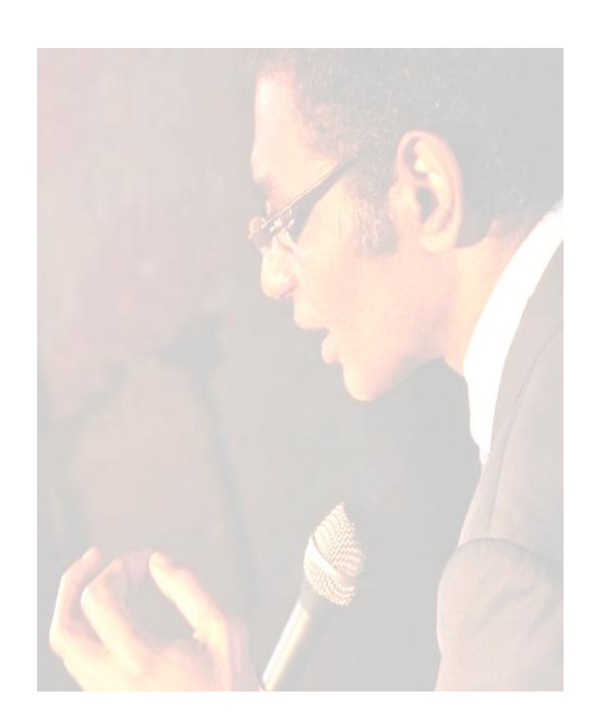
حَوْلٌ وَلا قَوْلٌ وَلا تَبْدِيلُ

وَطَنِي اسْمُهُ وَطَنِي وَمَا قَسَّمْتُهُ

حَتَّى أَراهُ كَمَا يَرَاهُ دَخِيلُ

يَبْقَى كَحُلمٍ كَيْ نَعِيشَ حَقيقَةَالـ

مَعْنَى، فَلا يَأْوِي الضِّبَاعَ الغِيْلُ



الرسالة السابعة

(يا سَيِّدَ المَغْنى، وَيَجْمَعُنَا مَعًا

لَيْلٌ وَ"لَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ")

غنَّيتَ عن مصرَ النواطيرَ التي

نامتْ وطال على الهوانِ خمولُ

وأنا شدوت لها بليلةِ قَدْرها

ويجئُ في ميعادِه اليوبيلُ

والآنَ يَا مَلِكَ القَصِيدَةِ لَحْظَةً

أتُدِيلُ مِنّي "الدَّالُ" أَمْ سَأدِيلُ ؟

الدَّالُ فَاصِلَةٌ، كَلَفْتَةِ غَاضِبٍ

وَاللَّامُ لا فَصْلٌ وَلا مَفْصُوْلُ

أنت الفتى الشعري سدرةُ منتهى

وأنا لها، وجَدَ الرسيلَ رسيلُ

وَأنا القَصيدَةُ لا يُقالُ لَها متَى

وأنا الفتى يومَ" الكلامُ عضيلُ "

أَلِفِي إقَامَةُ كُلِّ حَرْفٍ مائل

كَمْ أَعْوَجٍ تُغْوِي الحُرُوفُ المِيلُ

هِيَ مَرَّةٌ في العُمْرِ أَهْزِمُ شَاعِرا

كم حاولته الجن حتى عيلوا

الناسُ في الميدانِ والميدانُ لي

ولنا الحياةُ وللطغاةِ كبولُ

انْظُرْ لِأَهْلِي هَلْ هُنَالِكَ نَائِمٌ

عِنْدَ الثَّعَالِبِ عَاجِزٍ مَسْلُوْلُ

هُمْ هؤلاءِ الـ هؤلاءِ كَعُزَّلٍ

صَدُّوا الرَّصَاصَ بِصَدْرِهِمْ وَاغْتيلو ا

وردٌ على الإسفلتِ هذا الأحمرُ

القاني ،سيزهرُ وردُنا المشتولُ

هِيَ لَحْظَةُ الفُقَراءِ تصمدُ "حارةٌ "

لِلْقَصْرِ فَاخْسَأْ أَيُّها التَّخْذِيلُ

وَقَفُوا وَهُمْ بِعُيُونِ مِصْرَ عُيُونُهَا

وَبِعَيْنِ قَنَّاصِ الوُعُولِ وُعُوْلُ

وَقَفُوا لِتَتَّزِنَ الحَيَاةُ بِهِمْ لَهُمْ

وَالمَوْتُ لا بُطْءٌ وَلا تَعْجِيلُ

فِي المَوْتِ يَصْرُخُ أرْجُوانُ دِمائِهِمْ

بَأْسُ الطُّغَاةِ المُتْخَمِينَ هَزِيلُ

قِفْ كَيْ تُرِي شَعْبِي نَزيفاً واقِفاً

الآنَ أَيُّ الواقِفِينِ نَبِيلُ ؟

فِي سَاحَةِ التَّحْرِيرِ يَوْمَ تَنَفَّسَ الـ

جمَلُ الدِّمَاءَ وَهَيَّجَتْهُ ذُيُوْلُ

وَيَدِي عَلَى كَتِفِ الزَّمِيلِ يَدِي عَلَى

جُرْحِ الزَّمِيلِ،يَدِي وَغَابَ زَمِيلُ

يَوْمَ الْتقى الجَمْعَانِ يَوْمَ المَوْتِ كَالـ

فُرْقَانِ، لَيْسَ بِسَيْفِهِ تَفْلِيلُ

فِي الشَّارِعِ الدَّامِي كَتَبْتُ وَصِيَّتِي:

أُمِّي انْتَصَرْتُ وَقَاتِلِي مفلولُ

لا تَسْمَعِي "عَدُودَةً "مِنْ نَجْمَةٍ

في الليلِ باكيةٌ وأنتِ ثكولُ

لا تُكْمِلِي نَشْرَ الغَسِيلِ فَهَا أَنَا

بِيَدِ المَلائِكَةِ الكِرَامِ غَسِيل

لا تفتحي التلفاز ماسبيرو دمٌ

والليلُ أعمى،وَالرَّصَاصُ يَغُوْلُ

كلُّ الدِّمَاءِ دِمَايَ مَا بِي غَفْلَةٌ

الأَشْقَى، لَيَالِي المُسْرِفِينَ غُفُوْلُ

أَنَا لا أُطِلُّ عَلَى دَمِي مُتَفَرِّجاً

وَدَمِي بِـ"رَابِعَةٍ" هُنَاكَ طَلِيلُ

تَرَكُوا لِـ "بَابِلَ" مَا اسْتَحَبَّتْ بَابِلٌ

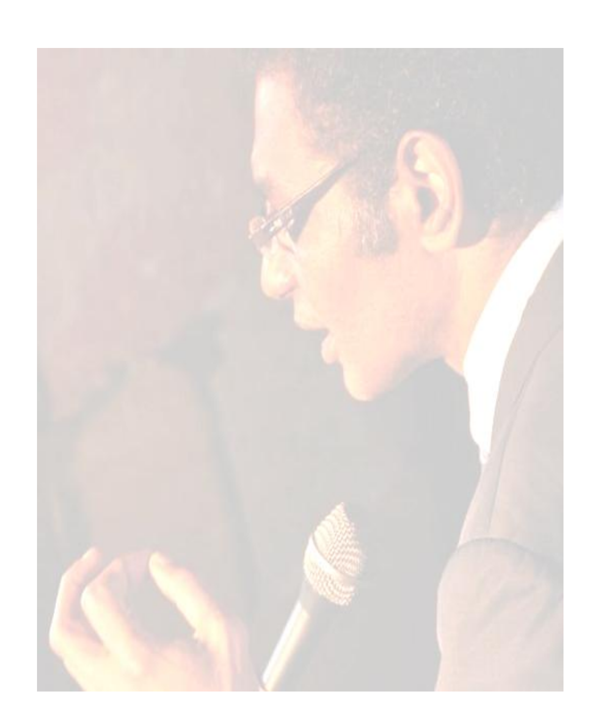
وَالرَّاقِصُونَ عَلَى الدِّمَاءِ فَلُوْلُ

أبكي لمن ولمن أنا منهم وهم

مني ، وَتَهْوِينُ الدِّمَاءِ سُفُوْلُ

صَوْتٌ وَراءَ الغَيْبِ، لَحْظَةُ دَوْلَةٍ

دالتْ ولحظةُ دولةٍ ستدولُ



الرسالة الثامنة

يَلِدُ الرَّصَاصُ تَوائِمًا مَجْهُولَةً

فِي المَوْتِ، كُلٌّ: قَاتِلٌ وَقَتِيلُ

لا يَسْأَلُونَكَ دِيَّةُ القَتْلَى لِمَنْ؟

وَلِمَنْ ــغَداًــ قَصْرُ الرَّئِيسِ يَؤُوْلُ

أَقْصَى خِلافٍ فِي السِّيَاسَةِ بَيْنَنَا

يَجْتَازُهُ القُرْآنُ وَالإِنْجِيلُ

يَجْتَازُهُ النِّيلُ الذي بِعُرُوقِنَا

لا حِيلَةٌ لِيَ فِيهِ أَوْ تَحْوِيلُ

يَوْمُ الفَتَى المَقْتُولِ ظُلْماً مِصْرُنَا.

وَالمُحْتَفِي بِالقَتْلِ مِصْرَائِيلُ

"أهناك فائدةٌ"يتمتمُ صاحبي

لا شيءَ إلا السجنُ والتقتيلُ

هل سعدُ زغلول المقامرُ قالها ؟

الآن لا سعدٌ ولا زغلولُ

هذا الربيعُ خرافةٌ عربيةٌ

لم تأتْ بعدُ وكاذبٌ إبريلُ

الآن والميدانُ وردٌ من دمٍ

هذا الشتاءُ الأحمرُ المحصولُ

والناسُ تسألني بكلِّ براءةٍ

أين البلادُ؟ أجيبُ :أين "المولُ"؟

فاسمعْ سؤالي كلُّ شيءٍ هادئٌ

والموتُ في الميدانِ لامسؤولُ

والنيل هذا الأسمرُ الحبش هل

يبكي علينا الآن هذا "الزُّولُ"؟

في ليلةٍ أخرى سنبكي ليلةٍ

أخرى سيضحَكُ وحدَه المعزولُ

قل للذي عاش الحياةَ على ظما

وأناله ماءَ الحياة مُنيلُ

ياوردةَ الميدانِ يا اسْمَ قصيدةٍ

لم تكتملْ يا حلمُ يا مثكولُ

حرّرتَ ما يكفي لجسمِك وحدَهُ

يا المفتدي الشجعانَ وهو تليلُ

هل كنتَ أكثر من بريءٍ حالمٍ

لم يدرِ ما تلدُ السنينُ الهُوْلُ

ظن الحصانَ الصعبَ يعبر وحدَهُ

خطَّ المحالِ لكي تصولَ خيولُ

ظَنَّ الزمانَ سيستدير لدورةٍ

أخرى نكيلُ اليأسَ حين يكيلُ

ظَنَّ الشهادةَ قد تكونُ لأهلِهِ

نارَ النِّداءِ علامة، لِيميلوا

تَأْبَى البَلابِلُ أَنْ يَكُونَ رَبيعَهَا

هذا الرَّبِيعُ الخَاتِلُ المَخْتُوْلُ

بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالخداعِ مُمَثِّلٌ

بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالدَّمِ التَّمْثِيلُ

يَتَشَابَهُ الثَّوْرِيُّ وَالنَّفْعِيُّ

وَالقَمْعِيُّ وَالمَهْدِيُّ وَالضِّلِّيلُ

المَالِكُ المَمْلُوكُ وَالمُتَكَبِّرُ

الصّعْلُوكُ وَالمُتَهَتِّكُ التُّنْبُوْلُ

المَارِكْسِيُّ النَّاصِرِيُّ العَسْكَرِيُّ

الصَّالحُ المُتَأَرْجِحُ المَدْخُوْلُ

الجَامِحُ الصَّوْتِيُّ وَالمُتَحَجِّرُ

الرَّجْعِيُّ وَالمُتَفَرْنِجُ الأُحبولُ

وَاللهُ مَوْلى الطَّيِّبِينَ وَحَسْبُهُمْ

نِعْمَ الوَكِيلُ وَمَا سِواهُ وَكِيلُ

هذا السِّيَاسِيُّ الذي بِإِشَارَةٍ

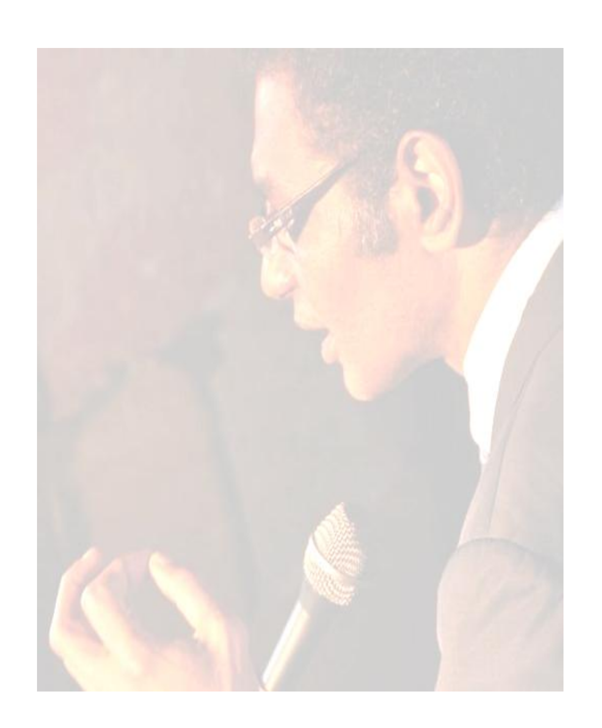
مِن إِصْبَعَيْهِ تَحَرَّكَ الأَسْطُوْلُ

تَحْتَ المَنَاصِبِ، تَحْتَ رَبْطَةِ عُنْقِهِ

وقَمِيصِهِ، سِرْوالُهُ مَبْلُوْلُ

يازيه الحربي هل أغناك عن

صوت المدافع أنْ تدقَّ طبولُ



الرسالة التاسعة

عَلِّلْ يَدَيْكَ بِمَا لَدَيْكَ مِنَ الحَصَى

بِئْسَ الغِنَى ذَهَب الضَّئيلُ ضَئِيلُ

عَطَشٌ عَلَى عَطَشٍ أَحَبُّ إليَّ مِنْ

كَأْسٍ عَلَوْتَ بِهِ وَأَنْتَ نُزُوْلُ

عول على الله، النياشين التي

ماعمَّدَتها الحربُ لا تعويلُ

ومكاتبُ الأعمالِ لا تُهدي لنا

بطلًا فتلكُمْ صفقةٌ وعميلُ

مَرَّتْ " قِفا نَبْكِ"ابْتَسَمْتُ لَهَا: ارْجِعيْ

أنا لا أغنّي، والبلادُ طلولُ

طَلَلُ المُعَلَّقَةِ القَديمَةِ صَخْرَةٌ

طَلَلِي الوَحيدُ هُوَ الدَّمُ المَطْلولُ

شُكْراً "لِأُوبَامَا عَلَى تَجْديدِهِ "

في الفِقْهِ": مَا التَّحْرِيمُ؟ مَا التَّحْلِيلُ؟

وَ"لِكونْدَليزا " مُنْذُ أَثْبَتَ عِلْمُهَا

" بِالنَّحْوِ" أَنَّ الفَاعِلَ المَفْعُوْل

وَلِكُلِّ شَيْءٍ قَدْ عَلِمْتُ وَخَانَنِي

جَهْلِي بِمَا قَدْ يَصْنَعُ التَّجْهِيلُ

شُكْراً "لِمارك توين" "لمادونا " إِذَنْ

تبًّا لِهذا الشُّكْرِ وَهْوَ جَزِيلُ

شُكْراً "لِنابِلْيونَ" كَيْفَ هَزَمْتَنَا

في المَرَّتَيْنِ جزاؤُنا التَّنْكِيلُ

لَمْ تُعْطِنِي "باريسُ" مِنْ ثَوْراتِهَا

إلّا السُّجُونَ وَهَا هُنَا البَاسْتِيلُ

لَمْ أَصْرِفِ الجِنّيَّ، مُذْ أَحْضَرْتُهُ

لا "الزَّارُ" أَنْقَذَنِي وَلا التَّطْبِيلُ

يا خاسرا في الحربِ لا خدشٌ

به هل كان شخصا غيرَك المسحولُ

لو كان يمكنني الجلوسُ كراهبٍ

في الديرِ حتى يرحلَ المنغولُ

لو يستقيلُ من الحياةِ مفكِّرٌ

يقسو عليه العالمُ المخبولُ

وكفيلسوفٍ لارواقَ له ولا

أحدٌ يسجلُ عنه ما سيقولُ

جَرُّوه نحو البئرِ لاماءٌ ولا

حبلٌ ولا نهلٌ ولا تعليلُ

سألوه ما سببُ الهزيمةِ ؟قالَ لو

تدرونَ ، ليس بوسعي التعليلُ

سألوه ما معنى العروبةِ؟ قال: أنْ

تشكوْ ولا طبٌّ ولا تعليلُ

من أيِّ طائفة ؟أجاب جميعهم

لا شأنَ لي مَن فاتَه المدلولُ

لو كنت مسجونًا بحلمٍ واحدٍ

لو "ديدمونةُ" حلمُكَ المأمولُ

فالطائفيةُ أنَّ عقلَكَ هادئًا

"ياجو" وقلبُك لو يثور "عطيلُ"

إنَّ الدَّمَ العَرَبِيَّ يَقْتُلُ أَهْلَهُ

لَمْ يَنْتَظِرْ حَتَّى يَعُولَ مُعِيلُ

يُرضِي مُسيلمةً ويُغضب أحمدا

ويخونُ عيسى لو هَذَى شاؤولُ

لَمْ يَصْمُدْ ابْنُ عَقِيلٍ مُذْ غَنِجَتْ

لَهُ لُغَةُ الدَّخِيلِ وَلا أَبُوهُ عَقِيلُ

كفرا بفاطمةٍ ومريمَ كلما

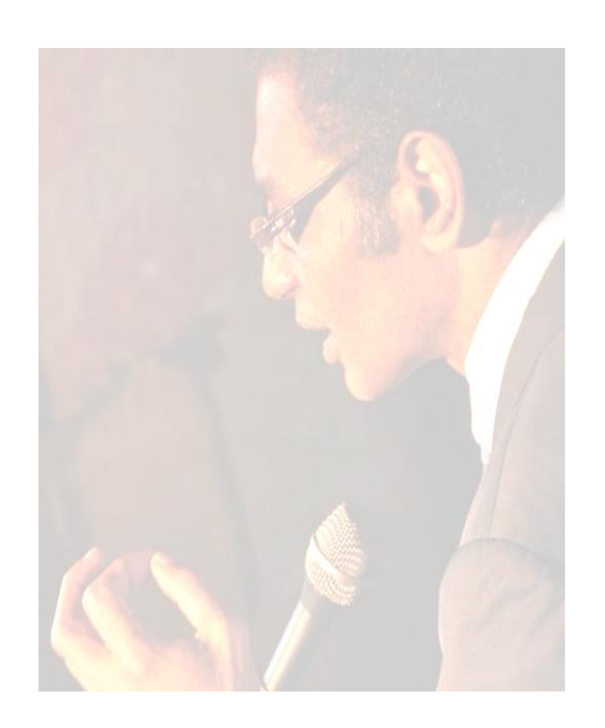
رقصتْ على إيقاعِها راشيلُ

عَصَفَتْ بِنا في العَاصِفَاتِ رَطَانَة

وَحَلَا لَنا فِي العُجْمَةِ التَّدْوِيلُ

وَتَنَازَعَتْنَا النَّازِعَاتُ فَغَارِقٌ

أَوْ سَاخِرٌ أَوْ نَاعِقٌ مَرْذُوْلُ



الرسالة العاشرة

عَرَبٌ، هَلِ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى وَهَلْ

غَارُ النَّبِيِّ لَهُمْ.. هَلِ التَّزْمِيلُ؟

لا يَعْدِلونَ المائِلاتِ ، وَعِلْمُهُمْ

في"الجُرْحِ"، ما لا يَبْلُغُ "التَّعْدِيلُ"

عربٌ لماذا والفهاهةُ دأبهُم

ولسانهُم كضميرِهم منحولُ

ويعلقون السيفَ فوق جدارِهم

فهل السيوفُ على الجدارِ تصولُ؟

هاهم سراعا يحملون حطامَهم

والسيلُ يجرفُ والغثاء حَميلُ

تركوا القرى تبكي و تركعُ وحدَها

ويقوم جبريلٌ وميكائيلُ

وتقطعوا رهن المتاهة وانتهوا

مولاهم الشيطانُ جهلائيلُ

يَغْتَالُهُمْ عَرَبٌ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ رومٌ،

وَهُمْ عَدَدُ الحَصَى وَقَلِيلُ

كالغارقينَ بلا شواطئ لم يكنْ

سفنٌ ولا طوقٌ ولادرفيلُ

نحيا بما سرَّ العدوُّ وساءنا

لم يُنجِنا المعقولُ والمنقولُ

عربٌ على دين النبي محمدٍ

فإذا أتى عصرُ المُغولِ مغولُ

أهناك مايكفي ليكتب بعدنا

"هوميرُ" ملحمةً و لا "فيرجيلُ"

لم يُبقِ "أوديسيوس" حصانا ،لم يعد

خطرًا على طَروادةٍ" آخيلُ"

وكأنهم و كأنكم وكأننا....

نجحَ المجازُ وأخطأَ التدليلُ

لا نقرأ الإنسانَ، نَغمِسُ ليلَنا

في صُبحِهِ ويروقنا التظليلُ

أيامنا عاديةٌ عاديةٌ

كالموتِ لا تَكْثِيرُ لا تَقْلِيلُ

متطفلونَ على الجمال كأنما

قبحٌ على ماءِ الحياةِ طفيلُ

وأنا هنا هُنَا قَبْلَ الحَدِيقَةِ، لَمْ يَكُنْ

سُورٌ هُنَاكَ، وَلَمْ يَكُنْ قَابِيلُ

بَسَطَتْ لِيَ امْرَأَةُ المَكانِ زَمَانَهَا

فَكَأَنَّمَا المَعْقُولُ لامَعْقُوْل

تَتَحَدَّثُ الأَشْيَاءُ لِي أُصْغِي لَهَا

لا العِلَّةُ ابْتَذَلَتْ وَلا المَعْلوْلُ

زَمَنٌ تَمَكّنَ في المَكانِ كَأَنَّمَا

قَدْ ثَبَّتَ المُتَجددَ التَّأْصِيلُ

في البِدْءِ لَمْ تَكُنِ الحِجَارَةُ طَوْطَمًا

حَجَراً يُطَوِّفُ حَوْلَهُ تَبْجِيلُ

كانَتْ بَريداً مُرْسَلاً مِنْ كاتِبٍ

فَوْقَ الحِجَارةِ،صوته الإِزْمِيلُ

كم سجلوا صدقا وترجمَ كاذبٌ

أَشِرٌ وكرّر ما يقالُ جهولُ

هَلْ حِكْمَةُ الأَجْدادِ أَلْقَتْ سِرَّهَا

فِي حِجْرِ شامْبِلْيُونَ "يَا مَعْدُوْلُ"؟

لِمَ لَمْ تَرِثْهُمْ عَالِمًا وَوَرِثْتَهُمْ

إِرْثَ المُهَرِّبِ،عَاشَ وهْوَ ذَلِيلُ؟

هذي الحِجَارَةُ تَقْرَأُ المَاضِي

لا يَقْرَأُ الحَاسُوبُ يا " بَهْلوْلُ"

أنا ضيفُ مَن في غرفةٍ حجريةٍ

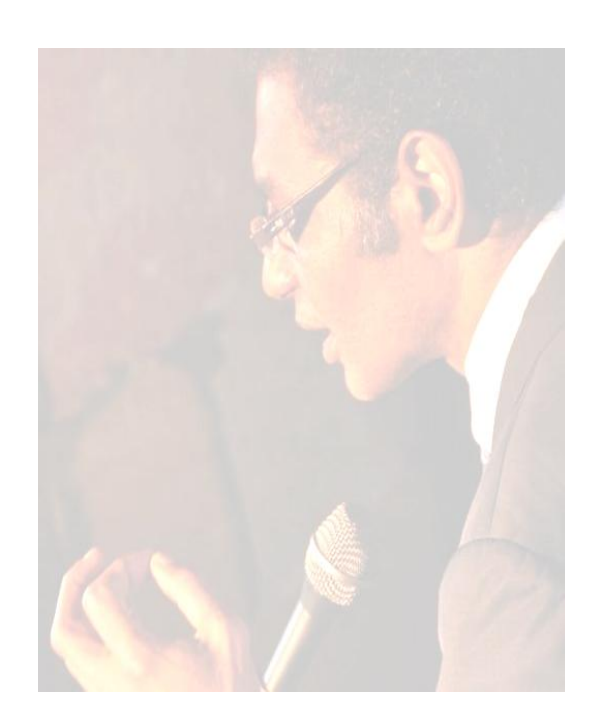
والغائبونَ الحاضرونَ مثولُ

تَتَنَفَّسُ الأَحْجَارُ رُوحَ نُقوشِهَا

فَكِلاهُمَا مِنْ كِلْمَةٍ مَجْبُوْلُ

هِيَ بِنْتُ مَاضٍ مَا، شَقِيقَةُ حَاضِرٍ

أُمٌّ لما يأتي ولا تمهيلُ



الرسالة الحادية عشرة

هذي الحروف رِسَالَةٌ كَوْنِيَّةٌ

لِلنَّاسِ وَالسَّطْرُ الأَخِيرُ جَلِيلُ

جَدٌّ من الماضي يلوِّحُ واعيا

أحفادُه المتكبرون غُفولُ

مِن ذلك الماضي سيأتي قاتلٌ

متحفِّزٌ والنصلُ بعد صقيلُ

أبوسعِنا أنْ نستهينَ بخنجرٍ

مرت عصورٌ وهو بعد سليلُ؟

تتناسخُ الأفكارُ عبرَ ولادةٍ

سريةٍ ، يتكرر التدجيلُ

أدونيسُ أوزوريسُ ميترا هِرقلٌ

زاردشتْ باكو بعلْ بوذا إيلُ

تَمُّوزُ جوبترُ أهرِمان خرافةٌ

وخرافةٌ جِلجامش إنليلُ

صَمْتُ النُّقُوشِ السُّومَرِيَّةِ أَعْيُنٌ

مَحْجُوبَةٌ وَبُكاؤُهَا مَبْذُوْلُ

سَيَمُوتُ "أنكيدو" لِيَصْرُخَ

"مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ وَفَعُوْلُ"

لا أَفْهَمُ المَأْسَاةَ أَفْهَمُ صَرْخَتِي:

"جلجامِشٌ" حُلْمُ الخُلودِ وَبِيلُ

وَلَنَا الإقامَةُ في فَنَادِقِ خَطْوِنَا حِيناً

أَنَا.. أَنْتَ.. الجَمِيعُ، نَزِيلُ

أوهامنا الكبرى سدودٌ كلما

سقطت تشبثَ بالسدودِ ضَليل

أنى سيسمعُ أو يقولُ لنا :أرى

وهو الأصمُّ الأخرسُ المسمولُ

ويظن بعضَ الظنِّ علما وهو من

دجليةٍ محبوكةٍ منسولُ

"فِيلونْ"سيكذب ثم يكذب مثله

أصحابه ويظل يكذب "فيلُ.."

فوق الحجارة قارةٌ مفقودةٌ

أطلنطسٌ أخرى هي السجِّيلُ

كَذبَتْ أَثينَا الرَّمْزَ ثُمَّ تَوَسَّعَتْ

رُومَا ،هما الإجْمَالُ وَالتَّفْصِيل؟

وَلَطَالَمَا غَدَرَتْ بِـ"يوليوسَ قَيْصَرٍ

" فِي قَاتِلِيهِ خنَاجِرٌ وَنُقُوْلُ

عُذْراً "كلوباترا" فَمَبْلَغُ عِلْمِنَا

مَا دَلَّسَ التَّزْوِيرُ وَالتَّوْحِيلُ

هَلْ تَسْمَعِينَ صَدَى الزَّمَانِ يَطُوْفُ في

سَمْعِ المَكَانِ كَأَنَّهُ تَسْجِيلُ

لغزي القديمُ هناك يشبِه ذلك

اللغزَ الجديدَ كلاهما تَضْلِيلُ

ها أنتِ كالأوطانِ حولك تهمةٌ

مكذوبةٌ وعلى العُيُونِ سُدُوْلُ

أَخْفَتْكِ كَالسَّهْمِ الكِنَانَةُ رَيْثَمَا

يُسْقَى النَّبَاتُ وَيُحْرَقُ" الحَامُوْلُ"

مِنْ أَلْفِ حِقْدٍ بَعْدَ أَلْفٍ لَمْ تَزَلْ

لُغْزَ الزَّمَانِ وَبَعْدُ لا مَحْلُوْلُ

هل أَقْسَمَتْ أَلّا يَمُرَّ بسرها

نَبَاشُ قَبْرٍ صَيْدُهُ مَحْبُوْلُ

أُسْطورَةُ الوادي، لُبَاةُ ضِفَافِهِ

يَخْشَى أُسُودُ بَأْسَهَا وَشُبُوْلُ

وعَقيلَةُ النِّيلِ العَظِيمِ أَمَا كَفَى

بالنِّيلِ أَكْرَمَ مَا يَكونُ عَقِيلُ

الكَاعِبُ الحَسْنَاءُ تقرأ حكمة

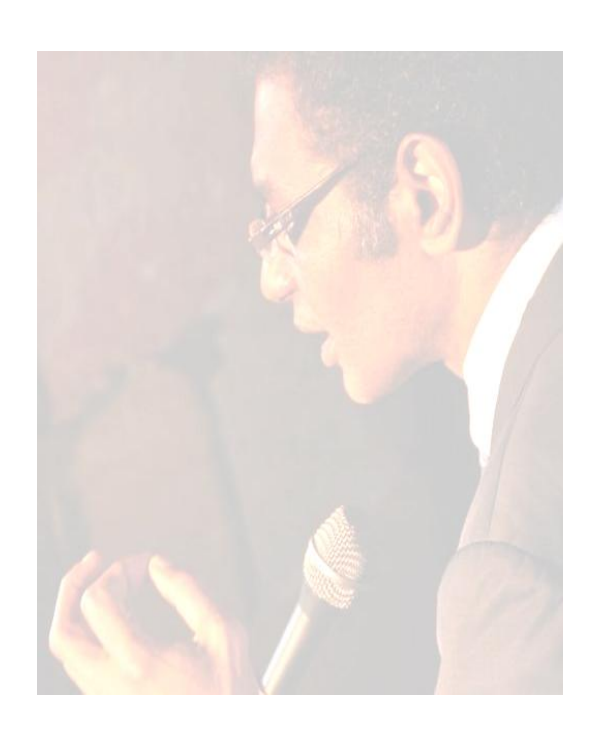
الحُكَمَاءِ، وهي الكحل وَالتَّكْحِيلُ

أَتَرُومُ حَبْلَ المَوْتِ لَدْغَةُ حَيَّةٍ

وَلَهَا إلى طُرُقِ النَّجَاةِ حُبُوْلُ؟

مَنْ سَوَّلَتْ رومَا بِطَرْفِ رِدائِهَا

لا يُسْتَطَاعُ لِمِثْلِهَا تَسْوِيلُ



الرسالة الثانية عشرة

يا آخرَ الملكاتِ يا أسطورةً

يا قولةً ما خانها التقويلُ

لا قِيلةٌ بلغتْ سُطاك ولا اجترا

أنْ يهتكَ الشرفَ المقدَّسَ قِيلُ

يا وردةَ المحراب يا مخبوءةً

في كُمِّها للحاقدين نصولُ

في كلِّ جيلٍ تشرقين قصيدةً

بكرا فلا عصرٌ ولا تجييلُ

في الغيبِ لا نسيًا ولا منسيةً

يا آية والعالمينَ شغولُ

أنُقِيمُ سوراً مَا لِنَحْرُسَ وَهْمَنَا

مِنْ وَعْيِنَا، وَيَدُ الزَّمَانِ تُزِيلُ؟

نِصْفُ الهَزِيمَةِ حِينَ أَسْأَلُ حَائِرًا

أَأَنَا المُفَضَّلُ أَمْ أَنَا المَفْضُوْلُ ؟

النخلُ عائلتي أعيشُ لغرسِهِ

حتى أموتَ وفي يديَّ فَسيلُ

وَكَأَنَّمَا الإِنْسَانُ يُكْمِلُ عُمْرَهُ

مَوْتاً ،فَفِي نُقْصَانِهِ تَكْمِيلُ

فدعي الحياة على الحياة شَهيدَةً

يَمْضي رَعِيلٌ كَيْ يَجِيءَ رَعِيلُ

فَلَّتْ سُيُوفَ الفاتِحِينَ وَأَغْرَقَتْ

سُفُنَ الغُزاةِ، تُكيلُهُمْ، فَيشيلوا

مَرُّوا مَجُوسا خَلْفَهم "قِمْبيزُهم"

مروا و نَارٌ خَلْفَهُمْ،وَعجُوْلُ

مَرُّوا بَطَالِمَةً،لنشهد بعدهم

أنَّ الترابَ على الترابِ مَهيلُ

روما يُرَبُّونَ السُّيُوفَ لِقَمْحِنَا

قُلْنا: السَّنَابِلُ جَائِعٌ وَأُكُوْلُ

حَتَّى عَلا صَوْتُ المُؤَذِّنِ حُجَّةً

بَيْضَاءَ،لا قَتْلٌ وَلا تَكْبِيلُ

هو ذلك التوحيدُ عاد لأرضِهِ

من عهدِ نوحٍ ،بَعْدُ لاترحيلُ

مَرَّ التَّتَارُ هنا هناك كَعَاصِفٍ

"بِالأَرْضِ" قُلْنَا عَصْفُهُ مَأكُوْلُ

مَرَّ الفَرَنْسِيُّ البِريطانِيُّ وَالـ

تُّرْكِيُّ وَالـ "قَابِيلُ" وَالـ"هَابِيلُ"

يَأَتي "لُويسُ" وَلَمْ تَزَلْ مَنْصُورَةً

يَمْضِي "لُويسُ" وَفي يَدَيْهِ غُلُوْلُ

لم نسبق الأيامَ وهْيَ شبيبةٌ

لتفوتَنا الأيامُ وهْيَ كهولُ

مصر التي أتلو وتتلوها معي

آيُ الكتابِ وشاهدون عُدولُ

جُزْءُ الكِتَابِ إلى رَحَابَةِ كُلِّهِ

كَالفَرْعِ آبَ،فَبَارَكَتْهُ أُصُوْل

تبقى إلى سطري الأخيرِ معي إلى

بابِ الجنانِ فوعدُنا تنويلُ

وانا ابنُها وأنا دعاءُ صلاتِها

في فَجْرِها ودعاؤُها مَقبولُ

وَبِقَدْرِ ما اتَّسَخَتْ شَوارِعُ حُزْنِهَا

بِالقَاْنِطِينَ،فُؤادُهَا مَغْسُوْلُ

مَا مِنْ مُصَادَفَةٍ، وأولُ خطوةٍ

أختُ الأخيرة والطريقُ طويلُ

نخطو كأوَّلِ عاشقينِ، لقاؤنا

تَكْبِيرَتَانِ، عناقنا تَهْلِيلُ

لَمْ أُهْدِهَا غَزَلاً غَزَلْتُ خيَالَهَا

فَاللّازَوَرْدُ مُطَرَّز مَغْزُوْلُ

اللهُ يَا امْرَأَةً أُحِبُّ دَلالَهَا،

وَاللهِ مَا خَدَشَ الخَيَالَ مثيلُ

أيلولُ لم يسرقْ حكايةَ حبِّنا

وأنا أحبُّك لو مضى أيلولُ